

رايات الدول

٣ - راية الدولة العثمانية

﴿ بقلم محمد المحسن ﴾

لكل دولة علامة تتميز بها عن سواها وعلم تعرف به بين شارات الأمم الأخرى . وللدولة العثمانية علامة خارقة يسميها الأتراك « آرمائي همايون » وهي مجموعة ما يستعمله الجندي العثماني من الأسلحة النارية والجارحة وأوسمة الدولة الرفيعة كوسام « خاندان آل عثمان وغيره » فترى هذه الشارة كشكة مدججة بالسيوف والمناجر والأطباز والرماح والحراب والمدافع والطبنجات والبنادق وأما الأوسمة فأنها مدلاة من جانبيها الأسفلين وفي منتصفها الطغراء الهايونية التي هي كناية عن اسم السلطان وكلتي دعاء واجلال له .

فالشارة الهايونية عند الأتراك كصورة النسر عند المانيا والولايات المتحدة ، وكصورة الأسد عند بريطانيا أو بلاد فارس ، بيد أن احترام

العثمانيين لهذه العلامة واكثرهم بها ليستا بدرجة ما هما عليه عند الالمان والانكليز ، حتى ان اغلب العثمانيين لا يعلمون ماذا تعني تلك الصورة ، وما الغاية من اتخاذها . ولو لم يكن الموضوع موضوع الرايات - لا العلامات - لكنت توسعت بوصف هذه العلامة وتاريخها وما طرأ عليها من التحسين والزيادة الى ان وصلت الى شكلها الحالي . ولا اظن ان قراء الفنون يجهلون الشارة السلطانية العثمانية ، ولذلك فلندعها ولتعد للبحث في العلم العثماني ولنأت نبذة من تاريخه

ان الراية العثمانية التي تستعملها دولة بني عثمان والدول الاسلامية الاخرى - كأفغانستان ومراكش ومصر - هي جميلة المنظر من حيث مشايبة اجزاها جرمين من اجرام الطبيعة البهية المنظر ، فوجود الهلال الناصع الوضاح والنجدة الزهراء المتربة امامه في بقعة حمراء لما يشير الى حسن ذوق مبتدع تلك الراية . ولكن كيف ابتدع الاتراك تلك الراية ، وهل هي شارة اسلامية قديمة استعملت قبل العثمانيين ، أم هل هي بدعة واختراع تركي بعد انقراض الدولة العباسية وبتية الدول الصغيرة من عربية وغير عربية ؟

ان المنقب في تاريخ العرب لا يعثر على راية بهذا الشكل ابدأ من نشوء الدعوة الاحمدية الى دور طوائف الملوك ، اذ ان راية النبي العربي كانت خضراء وراية بني امية التي رفرفت فوق جبال بيرهه من الغرب وكادت تشرف على مرتفعات هينلايا من الشرق كانت بيضاء ، وراية بني العباس

سوداء . الا ان المأمون لما تظاهر بالميل الى اهل البيت ابدلها بخضراء واعتاد نفسه على ارتداء الثياب الخضراء فلم يرق ذلك لغيره من الاسرة العباسية فأعادوا رايهم السوداء وظلوا ينشرونها الى ان انتم عليهم الزمن بسواده المنظم فنكست تلك الراية على اهلها وذهبت وايامهم الى حيث العدم الابدي .

واما طوائف الملوك وان كانوا لا يحصى عددهم ولا تقدر اعلامهم بمقدار فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجريين ، فلم ينبثق التاريخ عن استعمال احدهم راية الهلال والنجم ، بل كان لكل منهم ذوق في انتقاء رايته حتى كان الانسان لا يرى علماً يشبه الاخر . فمن الامراء من كان يرفع علماً من الحرير الابيض ومنهم من كان يطرز رايته بآيات من القرآن ذات حروف ذهبية او فضية . وغاية القول ان رايات طوائف الملوك كانت شارات حقيقة لتنافر قلوبهم وتشتت مقاصدهم وآرائهم .

فلما اتنا لم نعثر على راية الهلال والنجم بين رايات الدول العربية القديمة ، غير اني استطرد القول آتياً ببعض دلائل تاريخية تشير الى ان العرب كانوا استحسنا هذه الصورة الجميلة فأودعوها في بعض مخلفاتهم القديمة ، الا ان ذلك لا يعني انهم اتخذوها راية لهم في زمن من الأزمان . فالتدبير المؤرخون الباحثون عن الاثار العتيقة على بعض مسكوكات الدولة الاموية فوجدوا حواشي النقود التي ضربها معاوية ابن ابي سفيان مزينة بصور اهله ونجوم صغيرة مركوزة في منتصف تلك الالهة . ولكن مهما وجد من الامارات فهي لا تكني لنفي نسبة ابداع راية النجم والهلال للاتراك انفسهم

واليك مة هو جدير بالذكر من تاريخ ايجاد العلم العثماني الحاضر وبعض
ما سطره مؤرخو الاتراك بذلك

قيل ان مبدع الراية العثمانية هو السلطان مراد الاول المكنى بخداوند كار
وقد ينسب مؤرخو الاتراك القدماء - كنعيماً ووصفي - ذلك لايجاد
الى خرافة ربما كانت مبنية على حقيقة وهي « انه بينما كان السلطان مراد
خداوند كار احد عظماء سلاطين الترك يتمشى ذات ليلة في ميدان القتال
في سهل قوصوه ، وقد كان تلك الليلة منشرح الصدر ، فرحاً بما اتاه الله
من النصر في معركة قوصوه الشهيرة التي حدثت بينه وبين ملوك البلقان
الذين كانوا تحت زعامة الملك لازار الصربي في نهار تلك الليلة حانت منه
التفاته الى احد جانبيه واذا بنظره قد وقع على غدير صغير مزجت ماؤه بشيء
من النجس المتدفق ذلك النهار المصيب من رقاب الاعداء وقد انعكست
برعلى سطح الغدير صورة الهلال الحديث الطلعة والنجمة التي تخلق معه فأنظر
هنا المشهد الطبيعي الجميل - ان جازت نسبة الجمال الى الدم البشري -
في نفس السلطان مراد خداوند كار المملوء عجباً باتصاراته على ملوك اوربا
الشرقية ، فإراد ان يحيي ذكر ملحمة قوصوه العظيمة ، فلم يجد وسيلة
أفضل من اتخاذها علماً يماثل بلونه ذاك المشهد الطبيعي ومن ذلك الوقت
ولد الهلال العثماني

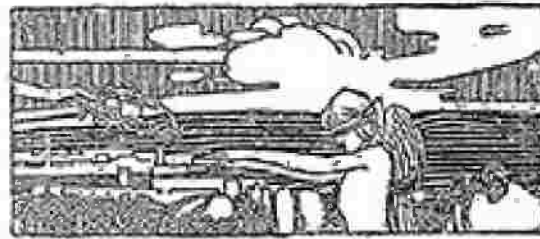
ومما يجدر بالذكر في هذه المناسبة هو ان السلطان مراد خداوند كار
مبدع العلم العثماني قد قتل في هذه الصحراء الابانية الواسعة بينما كان

يتفقد الجرحى ويغرقهم عن القتال بعد انتهاء معركة قوصوه العظيمة المار ذكرها . قتل بيد جريح صربي يدعى « ميلوش قابلويش » فقد اقترب ميلوش من ركاب السلطان وتظاهر بالخشوع لديه والرغبة بشم اذياله ثم غافله بطعنة من مديته وحاول الفرار وقتل نفراً من حرس الركاب السلطاني ، الا انه لم يفرز بالخلاص وقتل مبدلاً افراح العثمانيين باتفراح في يوم واحد . ولا غرو فكم غدر الصربيون بملوك وامراء لاجل اوطانهم وها آخر ما فعلوه من هذا القبيل ايقاع احدهم بولي عهد النمسا واضرامه ناراً لم تر البشرية اشدّ لهباً منها .

هذه هي المراقبة التاريخية - ومعظم حوادث التاريخ خرافات - الوصفة كيفية ايجاد الهلال العثماني . غير ان ما يعتبره المؤرخون حقيقة راهنة هو امر اتخاذ الراية العثمانية الحالية في دور السلطان مراد خنداوند كار فقد كاد مؤرخو الاتراك ان يجمعوا على ذلك وقد ذكر كامل باشا الصدر الاعظم السابق الذي توفي منذ ستين في تاريخه العثماني المسمى « تاريخ سياسي » ان الراية العثمانية اوجدت في دور السلطان مراد خنداوند كار ونشرت سنة ٧٧٨ الهجرية فوق روموس الانكشارية اذ ارتأى السلطان المشار اليه ان يميز راية الدولة العثمانية عن رايات الدول الاسلامية السالفة فأختارها قانية حمراء . واما قبل ذاك التاريخ فان سلفيه - عثمان واورخان - كانا ينشان فوق روموس جيوشهما اللواء السلجوقي الذي اهداه السلطان علاء الدين السلجوقي ملك قونية الى الامير عثمان مكافأة له على خدماته

لبنى سلجوق واعترافاً له بالاستقلال المبداي . وكان ذلك العلم كأعلام طوائف الملوك ، قطعة من قماش مكتوب عليها بعض ادعية واحاديث ، فاتخذ عثمان علماً خاصاً « لقبيلته » واقتدى ابنه اورخان الى ان جاء حفيده مراد خداوند كار واتخذ الحمر لرايته رمزاً ولم اتحقق جيداً فيما اذا كان مراد خداوند كار ابتدع اللون الاحمر فقط ام كان مبتدع النجمة والحلال ايضاً الامر الذي لا يزال من معميات التاريخ العثماني العديدة . . .

محمد المحسن



قيل للعتابي - أي جلسائك أحب اليك ؟ فقال من ابصق في وجهه ولا يغضب . قيل له - ومن هو ؟ قال - العائط

.....

قال عبدالله بن عمر بن العاص - من سُئل عما لا يدري فقال لا ادري فقد أحرز نصف العلم .

.....

قال الحسن البصري - لو كان للناس كلهم عقول لحربت الدنيا



❖ امرأة فوطيفار ❖
❖ للصورة كوكوبه ❖